وباقي الأبيات واضح ولا يخفى ما اشتملت عليه الأبيات من البلاغة في وصف تلك الروضة وكونها بالحزن لا السهل الذي هو مظنة النبات وطيب التربة وجعل الندى أي المطر الخفيف يسقي نبات الطيب وكون الروضة من حزن وادي وكم من بطن واد أي منخفض بين تلعة وانه لكثرة طيب نباته وسطوع رائحته تلوت في نواحيه جماعة جاءت بالعطر والطيب مع تجارها بالكسر جمع تجر بالفتح كسهام وسهم ففتحت لهم تلك الطيب فضاع في ذلك الوادي . وانتشرت اعراقه في هاتيك البوادي . وعزة أطيب وأعطر منه عنده ومع ذلك عتب عليه . ونسب اللوم بسببه إليه . ومن تمام القول في بيتي الأحدوثة ما حدثنا به رفيقنا الفقيه البارع الألمعي المتفنن أبو محمد عبد السلام الجلودي عن شيخه العلامة الكبير الورع التقي شيخ الشيوخ أبي العباس أحمد بن العربي بن الحاج رحمه الله تعالى وهو صاحب الأبيات المارة في كيفية ضبط المضارع المضعف المجزوم في باب فعلت بغير الفاء أنه حدثه شارحاً ان من قرأ البيتين المذكورين في طريقه فان الطريق تطوى له وان ذلك من خاصيتهما والله أعلم .
قلت وقد وقفت على ذلك منصوصاً في بعض التقاييد ووسع القول فيه شيخ شيوخنا العلامة الرحالة الأديب البارع أبو سالم عبد الله العياشي في رحلته فقال حدثني الشيخ الراوية أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري عن بعض أكابر مشايخنا أنه كان يقول ان للقصائد خصوصاً ذكاته عند حضور قلب أثراً عظيماً في تفريج الكربات ونيل الرغبات أعظم من أثر الأوفاق والدعوات وتبتل في الخلوات وقد جرب ذلك فظهر صدقه ولا يبعد أن يكون لترتيب الألفاظ في وزن مخصوص ينشرح به الصدر للتضرع والالتجاء الى الله ويقوى معه الرجاء في حصول المطلب وتسهيل المقاصد وأغرب من ذلك ما رأيته في بعض التقاييد بعد قوله . وكنت اذا ما جئت ليلى أزورها . الخ قال بعضهم ما رددت هذين البيتين لمكروب الا فرج الله كربه وقيل ان ذلك لخاصية في حروفها وترتيب كلماتها ونبه على مثله شيخنا ووسيلتنا الى الله تعالى امام العارفين أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه قلت فما قاله الشيخ ابن الحاج أخص مما نقله أبو سالم فليتأمل . ومما جرب لطي الطريق بالخاصية مع زيادة ان القارئ لا يضل في طريقه قول الأعرابي

ألا قل لسار الليل لا تخش ضلة   سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

فان

فان من قرأه في طريقه طويت له الطريق ولا يضل فيها طارقاً ولا ليلاً قال في الكامل وأوردها صاحب البغية في باب الرجاء قال سعيد بن سلم عرض لي أعرابي فمدحني فأبلغ فقال

ألا قل لسار الليل لا تخش ضلة   سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد   جواد حثى في وجه كل جواد

قال فتأخرت عنه بره فهجاني فأبلغ فقال

لكل أخي مدح ثناء يعده   وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة   فكان كصفوان عليه تراب

وهذه نفثة أديب . ربما تصولت النفوس الأبية . بما طغى القلم وما زاغ . وما مال عن طرقه التأليف وما راغ . بل أفاد التحرير في التقرير . وأراح النفوس بالأحماض في مراعي التعبير والتحبير . فهو لا يعد طولاً عند أرباب هذا الشأن . ولا علينا في الفاصرة العدوديه في مطلعه الحيوان وقول الناظم ومنه اي ومنه المضموم كما مر في نظائره خبر مقدم والمبتدأ محذوف لدلالة جملة صار عليه لأن المراد هو لفظ أحدوثة فقط لا جملة التركيب كلها اذ الصحاح يقال منه المضموم صار زيد أحدوثة فيكون منه خبراً عن الجملة كلها كما لا يخفى والتقدير منه المضموم أول أحدوثة في مثل قولهم صار خالد أحدوثة والله أعلم . وفي قومه متعلق بصار أو خبر ثان أو حال من الأحدوثة وجملة أي أكثروا تفسيرية وضمير الجماعة عائد لقوم وحديثه مفعول أكثروا وحديثه أي خبره أي أكثروا من الحديث في شأنه كما مر وفيه نوع جناس والله أعلم . قوله

وهذه أرجوحة الصبيان اذ يلعبون وهي الميزان

أقول الأرجوحة أفعولة بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان وهو أن يوضع وسط خشبة على تل ويقعد غلامان على طرفيها وترجح أي تميل تارة بهذا وتارة بالآخر قال معناه في المصباح والمختصر وغيرهما وفيه لغة المرجوحة بفتح الميم حكاها جماعة وتعقبها أرباب التآليف لكنه سقط في البارع وفرط ثالثة رجاحة كرمانة وقد أوردها المجد فقال المرجوحة والأرجوحة وكرمانة حبل يعلق ويركبه الصبيان الرجاحة وترجحت به مالت . قلت فيه أمور منها أنه صدر بالمرجوحة فاقتضى تقديمها أفصحيتها وأرجحيتها وصرح في البارع وغيره بغلطه وان جعلها غيره أي لغة

Copyright © King Saud University